الفصل التاسع والثمانون

الزرع والمزروعات

والزراعة هي عماد ثروة اليمن وبقية العربية الجنوبية والمواضع التي تتوفر فيها المياه في جزيرة العرب . وهي رأس مالها الاكبر في حياتها . والمورد الأول الذي يتعيش عليه النـــاس . وقد انحصرت في المواضع الخصبة ، أي في المواضع التي جادت عليها الطبيعة بالأمطار أو بالينابيع والجعافر والعيون وبالمياه الجوفية القريبة من سطح الأرض وبالحسي وما أشبه ذلك . وحيث أن أغلب أرض بلاد العرب هي أرض صحراوية موات ، لهذا فإن الزراعة فيها معدومة ، ويمكن في المستقبل احياء قسم منها،وذلك باستخدام الوسائل الحديثة التي استنبطها العقل والتي سيستنبطها في استخراج الماء وفي اصلاح التربة ، وسيتحول شكل جزيرة العرب عندئذ عمّا هو عليـــه الآن كثيراً ولا شك . وقد حولت في هذه الأيام منـاطق موات ، الى أرض عمار ، تسقى بالميـــاه المنبعثة من الآبار (الارتوازية) ومن السدود التي حبست ميـــاه السيول ، وصارت تنتج في مواضع عديـــدة من جزيرة العرب غلة زراعية وافرة بفضل استعمال الفن الحديث في استنباط الماء وفي كيفية الاستفادة من التربة وفي ادخال أساليب الزراعة الحديثة الى هـذه الأماكن . وقد يأتي يوم ، تتحول فيه معظم أرض جزيرة العرب الفارغة المهملة التي يخشى الانسان من ولوجها الى أرض خصبة منتجة ، اذا ما زرعت زراعة حديثة ، تناسب جو بلاد العرب وتركيب تربتها،واستنبطت المياه الكافية من جوفها للزراعة وللشرب .

ونحن وإن كنا لا نملك مراجع جاهلية مكتوبة واسعة تتحدث عن الزراعة في

جزيرة العرب قبل الاسلام وعن أنواعها وتفاصيلها وأساليبها وطرقها وضرائبها وعن كيفية استغلال الأرض وطرق الاستفادة منها وواجب الفلاح تجاه صاحب الأرض، وعن الحاصلات السنوية ومقدار ما تأخذه الحكومة من المزارعين من ضرائب ، وأمثال ذلك من أمور متصلة بالزراعة ، لكنا قد تمكنا من تكوين رأي فيها من مراجعتنا للكتابات الكثيرة التي وصلت الينا وفيها أمور متعددة لها علاقة بهذه الموضوعات، كما ان آثار الأقنية والسدود الجاهلية المنتشرة في مختلف نواحي اليمن ، هي في حد ذاتها شاهدة على مقدار توسع اليمانيين في الزراعة في ذلك العهد . ونجد مثل هذه الآثار الجاهلية في مواضع أخرى من جزيرة العرب ، وهي دليل واضح على انها كانت مزروعة معمورة،لا مغمورة مهملة كما هو شأنها في الوقت الحاضر.

أما بخصوص الزراعة واستغلال الأرضين وايجارها وجباية الضرائب عنها والعقود التي كان يعقدها الملوك مع كبار الاقطاعيين وتنظيم المياه وأمثال ذلك،فقد وصلت الينا كتابات وأوامر عامة فيها ، كان يصدرها الملوك و (الكبراء) ، يعلنونها على الناس ، ليطلعوا عليها ، وليعملوا بموجبها ، تكتب على الحجارة ، وتوضع في محلات عامة ، أو في خزانات المسؤولين وذوي الشأن،ليرجع اليها حين الحاجة .

وهنالك كتابات كتبها رؤساء عشائر وأصحاب أملاك ، عن حدود أملاكهم، أو عن تأجيرها لغيرهم ، أو عن انشاء سدود لضبط المياه وتوزيعها ، أو عن حفر آبار ، وأمثال ذلك ، وهي كلها على صفتها الشخصية ذات قيمة بالقياس إلى هذا ، لما ورد فيها من أفكار ومصطلحات فنية ، تمكننا من تكوين رأي في الزراعة والنظم الاقتصادية في العربية الجنوبية في ذلك العهد .

واذا كنا قد حصلنا على فكرة ما عن الزراعة في اليمن وفي بعض أقسام العربية الجنوبية استناداً الى الألفاظ والمصطلحات الزراعية في الكتابات الجاهلية والى الوثائق الخاصة بالأرض وبالضرائب وبالتأجير وبعقود البيع والشراء ، والى بعض الصور المنقوشة على هذه الكتابات ، فاننا لم نعثر ، ويا للأسف ، على كتابات جاهلية تتحدث عن هذه الأمور في الحجاز وفي أواسط جزيرة العرب وفي الأقسام الشرقية منها ، وآراؤنا عنها مستمدة في الدرجة الأولى من المراجع الاسلامية ومن مشاهدات السياح لمناطق الآثار ووصفهم آثار الزراعة في المناطق التي مروا بها ، ومن تقارير الخبراء (الجيولوجيين) وغيرهم من موظفي شركات النفط العاملة في جزيرة العرب .

وفي لغة المسند مصطلحات زراعية تعبر عن معان خاصة ، وفيها مسمّيات لآلات وأدوات استخدمت في الزراعة . ولا بد أن تكون لهجات أهل العربية الجنوبية أوسع ألفاظاً في الزراعة من لهجات العرب الآخرين القاطنين في الأنحاء الأخرى من جزيرة العرب ، بسبب تنوع الأجواء في العربية الجنوبية ، وما أعقب ذلك من تنوع الزرع وطرق الزراعة فيها ، أضف الى ذلك خصب التربة ووجود الماء فيها ، وجوداً لا يماثله أي مكان آخر في جزيرة العرب . فظهرت فيها ألفاظ زراعة ومصطلحات زراعية لم تعرفها عربيات بقية جزيرة العرب،اضطرت اللهجات الأخرى إلى أخذها منها ، لعدم وجودها عندها ، ونجد في معجمات اللغة وفي كتب النبات والأدب ألفاظاً زراعية ، نص العلماء على أنها من لغات أهل اليمن .

وقد حفظت الأيام بعض الحجارة المكتوبة بالمسند ، وعليها صور ، أفادتنا في تكوين فكرة عن ملامح المزارع قبل الاسلام ، وفي تبيين طراز معيشته ، وشكل بعض ملابسه ، وما شابه ذلك . وبين هذه الحجارة المصورة المكتوبة ، حجر حفرت عليه صورة حرّاث حافي القدمين وقد ارتدى ثوباً بلغ ركبتيه وشد وسطه بحزام وأمسك بيده اليسرى الحبل أو النطاق المتصل بالمحراث ، وباليمين آلة على هيأة فأس من خشب ، ربما استعملها في ضرب ثوري المحراث ، أو استعملها في حفر الأرض أيضاً وفي تفتيت التراب المحفور . وقد رُبط الثوران بالمحراث، وأخذا يحرثان الأرض ، والفلاح يوجههما . ورسمت تحت الصورة صورة ثلاثة رجال ، يظهر من ملامحهم ومن شكل ملابسهم أنهم كانوا من أصحاب الأرض.

ولأهل اليمن سبق على غيرهم من أهل جزيرة العرب في الزراعة ، وهم حتى الآن على ما كانوا عليه من ميل اليها ، ويشتغل عدد منهم اليوم في المملكة العربية السعودية أجراء لغيرهم في زراعة الأرض ، أو مشاركون لأصحاب الأرض في الحاصل . أما الأعراب ، فكانوا يزدرون شأنها ، وينقصون من قدر المزارع (الحضار) . ونجد هذه النظرة الازدرائية الى المزارع عند أهل الحضر أيضاً ، حتى أن بعض الصحابة كرهوا تعاطي العمل في الأرض ، حتى بعد الفتح،تاركين ذلك الى أهل الذمة . روي عن (أبي أمامة الباهلي) أنه قال ، إذ رأى سكة وشيئاً من آلة الحرث ، فقال : سمعت النبي يقول : لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الذل . قالوا في تفسيره: « لما يلزمهم من حقوق الأرض التي يزرعونها، ويطالبهم بها الولاة . بل ويأخذون منهم الآن فوق ما عليهم بالضرب والحبس ،

بل ويجعلونهم كالعبيد أو أسوأ من العبيد ، فإن مات أحد منهم ، أخذوا ولده عوضه بالغصب والظلم ، وربما أخذوا الكثير من ميراثه ويحرمون ورثته ، بل ربما أخذوا من ببلد الزارع فجعلوه زراعاً ، وربما أخذوا ماله »[1] . وهو تفسير فيه شيء من التكلف ، يفصح عن كراهية القوم للزراعة أكثر من المعنى المذكور ، وأما الحديث نفسه ، من حيث الصحة أو الضعف ، فللعلماء كلام فيه . وفي كتب الحديث أحاديث أخرى تحث على الزراعة والزرع .

وورد في الحديث أن الرسول كان يحدث جمعاً من الصحابة عن الجنة ، وعن رجل زرع في الجنة فاستوى نباته ، وعنده رجل من أهل البادية ، فلما انتهى الرسول من كلامه ، قال الأعرابي : « والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصارياً ، فإنهم أصحاب زرع . وأما نحن ، فلسنا بأصحاب زرع »[2] .

وكراهة الزرع ، كراهية نشأت من عدم توفر الماء والأرض لأكثر الناس ، فصاروا يكرهونها، أما الذين ملكوهما فلم يزدروها ولم يغضوا من شأنها، والأعرابي لا يملك شيئاً ، فصار يكره كل شيء لا يملكه ولا يقدر عليه ، من زراعة ومن حرف ومن قيود اجتماعية ومن تنظيم ، ومن كل ما يخالف مألوفه من عرف وتقاليد . ولذلك صارت الزراعة من عمل أهل المدر ، وعمل كل من وجد لديه الماء الوافر ، ليأخذ منه ما يلزمه للزرع ، وسادات القبائل ، الذين توفر الماء عندهم ، أو كان لديهم المال لتشغيله في البحث عن الماء ، زرعوا مثل أهل الحضر ، وشغلوا العبيد وأتباعهم في الزراعة ، لما وجدوا فيها من مكسب وربح، وكان للكثير منهم زرع وحوائط .

ونظراً لتغير الحال عند العرب في الاسلام ، وظهور الدعوة فيه الى الأمة والجماعة ، فقد حث الرسول المسلمين على الزرع ، وظهر من روى عن الرسول انه قال الزراعة أفضل المكاسب ، وذلك لما فيها من عموم الانتفاع ، حتى ان منهم من فضلها على التجارة للتوسعة على الناس ، ولما للقوت الذي يأتي منها من صلة بحياة الناس[3] . ومع ذلك ، فقد بقي العرف الجاهلي مسيطراً على عقلية السادة

١ ارشاد الساري (٤/١٧٢) .
٢ ارشاد الساري (٤/١٩٠) .
٣ ارشاد الساري (٤/١٧١) ، (ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان به صدقة) ، صحيح البخاري (كتاب المزارعة وفي كتاب الادب في باب رحمة الناس والبهائم) ، صحيح مسلم (كتاب البيوع في باب فضل الغرس والزرع) ، زاد المسلم (٢/٣٣٣ وما بعدها) .

الكبار ، من افتخارهم بحيازة الأرض ، ومن ازدرائهم من الاشتغال بأنفسهم بها، فكانوا يستخدمون العبيد والأجراء وكُرّاء الأرض في استغلالها ، فهؤلاء وأمثالهم خلقوا للعمل في الأرض ، أما هم فقد خلقوا ليكونوا سادة ، عملهم امتلاك الأرض ، وقد ظهر من هؤلاء جيل امتلك أرضين واسعة في البلاد المفتوحة شغل فيها أهل الذمة ، والنبط وسكان الأرضين المفتوحة ، ومئات وآلافاً من الرقيق والعبيد ، كان عليهم العمل ، ولسيدهم الكسب الوفير والمغنم .

وقد يزرع أهل الحضر في جوف القرية من النخيل والأشجار ، أو داخل ما طاف به سور المدينة ، ويقال لذلك (الضامنة) ، لأن أربابها قد ضمنوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات ضمان ، محروسة آمنة ، وتحت رعاية وعيون أصحابها . وقد يزرعون خارج قريتهم ، وخارج العمارة في البرّ ، أي في الضاحية ، ويقولون لذلك (الضاحية) . وفي كتاب النبي لأكيدر : إن لنا الضاحية من البعل ، وان لكم الضامنة من النخل[1] . وقد كان زرع أهل الطائف وأهل يثرب وقرى اليمامة واليمن وغيرها بين ضاحية وضامنة . والضاحية أوسع وأكثر بالطبع ، لاتساع العين ووفرة الماء .

ولم يكن من الممكن بالنسبة لأيام الجاهلية ، زرع مساحات واسعة بالحبوب أو الخضر والنخيل وبقية الشجر ، لصغر حجوم المياه ، وقلة المطر ، وعدم كفايته لارواء الزرع منذ بذر بذوره حتى حصاده ، وللظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت مهيمنة على مجتمع ذلك العهد ، من عدم وجود حكومات قوية كبيرة ترعى الأمن وتحمي حقوق المزارع وزرعه من العبث به ، ثم تشجيعه وتقديم المعونة له . لذلك كان من الصعب ظهور مزارع كبيرة تنتج غلات عظيمة تعرض للاستهلاك المحلي والتصدير . ولم يكن في وسع أحد انشاء مثل هذه المزارع إلا اذا كان متمكناً ذا مال ونفوذ ، وصاحب عشيرة قوية ، تحمي حقه ممن يريد الاعتداء عليه .

وزرع ، بمعنى طرح البذر . وقيل الزرع نبات كل شيء يحرث . ويقال زرعت الشجر كما يقال زرعت البرّ والشعير . والزريعة الشيء المزروع، والزرعة البذر[2] . فالزراعة اذن ، هي التي تكون بفعل الانسان . يطرح بذراً أو يغرس

---

١ تاج العروس (٩/٢٦٦) ، (ضمن) .
٢ تاج العروس (٥/٣٦٨) ، (زرع) .

غرساً ، أو ينبت نبتاً . وأزرع الزرع طال . وموضع المزروع المزرعة . وقد غلب على المكان الذي يزرع براً وشعيراً[1] .

ويكون (الغرس) بفعل انسان ، يقوم بغرس الغرس . وغرس الشجر يغرسه غرساً ، أثبته في الأرض ، والغرس الشجر ، والغراس وقت الغرس[2] . فلا يكون الغرس ببذور ، وانما بغرس غرس ، ينمو ويكبر ، فيصير غرساً . ولا تعبر لفظة (غرس) عن ظهور النبات بفعل الطبيعة ، وانما تعبر عن غرس (فسيل) ليصير شجراً . من ذلك فسيل النخل ، وقضبان الكروم والأوراد، وأمثال ذلك[3] . ويعبر عن صغار الفسيل بـ (الوديّ) . وفي حديث أبي هريرة ، لم يشغلني عن النبي غرس الوديّ[4] . و (التغاريز) ما حول من فسيل النخل[5] .

وغرسوا الشجر سككاً . والسكة السطر المصطف من الشجر والنخيل . وقد كانت بساتين يثرب سككاً مسطرة بسطور النخل . ومنه الحديث : خير المال : سكة مأبورة ومهرة مأمورة . المأبورة المصلحة الملقحة من النخل، والمأمورة الكثيرة النتاج والنسل[6] . وغرسوا النخل أسطراً على جانبي مسايل الماء والجداول والسواقي. والسطر ، الصف من الشيء كالكتاب والشجر والنخل . يقال بنى إسطراً من نخل، وغرس سطراً من شجر ، أي صفاً[7] .

وغرسوا (الكرم) سككاً كذلك . وقد يتخذون له (عريشاً) يعترش العنب . و (العريش) ، ما عرش للكرم من عيدان تجعل كهيأة السقف ، فتجعل عليها قضبان الكرم فتعترشها[8] .

ويعبر بلفظة (نَبَتَ) عن كل ما نبت من نفسه ، أي بدون فعل فاعل، وانما بفعل الطبيعة في التربة ، وذلك في الغالب المألوف . وذلك بتأثير المطر عليها، أو بتأثير السيول والطوفان والرطوبة والمياه الجارية ، وأمثال ذلك ، مما يكون سبباً

---

١ تاج العروس (٥/٣٦٨) ، (زرع) .
٢ تاج العروس (٤/٢٠١) ، (غرس) .
٣ تاج العروس (٨/٥٨) ، (فسل) .
٤ تاج العروس (١٠/٣٨٧) ، (ودي) .
٥ تاج العروس (٤/٦٤) ، (غرز) .
٦ تاج العروس (٧/١٤٣) ، (سك) .
٧ تاج العروس (٣/٢٦٦ وما بعدها) ، (سطر) .
٨ تاج العروس (٤/٣٢٢) ، (عرش) .

لنبت النبات . يقال : « نبتت الأرض وأنبتت » ، و « نبت الكلأ »[1] .

وترد لفظة (سقح) بمعنى زرع وغرس في لغة المسند[2] . رقد فسرها بعض علماء العربيات الجنوبية بمعنى هيأ المـــاء وجمعه وأجرى السواقي والأرض وحفـــر القنوات ومهدها للزرع ، وبعبارة مختصرة التمهيد لكل شيء ولكل عمل[3] .

التربة :

وللتربة عند العرب أسماء ، وذلك لأهميتها بالنسبة الى حياتهم . فنجد في كتب المعاجم ألفاظاً كثيرة لها ، من حيث لونها ومن حيث خصبها ومن حيث نوعهـا ومن حيث وجود الماء فيها الى غير ذلك . وهم يقولون للأرض الطيبة السهلـــة التي لا يعلوها السيل (الأبهر) . وقيل الأبهر ما بين الأجبل[4] . ويقولـــون : (السُخاخ) للأرض اللينة الحرّة[5] . ويقولون أرض حلاوة ، تنبت ذكور البقل[6] . و (الخصب) نقيض الجدب ، وأرض خصبة منبتة ، قابلة للزرع . و(العثعث) ما لان من الأرض ومن مكارم المنابت: وقيل الكثيب من السهل أنبت أو لم ينبت[7] . و (الجادسة) ، الأرض لم تعمر ولم تعمل ولم تحرث . ورد في الحديث : من كانت له أرض جادسة ، قد عرفت له في الجاهلية حتى أسلم ، فهي لربها . أي الأرض التي لم تزرع قط[8] .

والسبخة ، أرض ذات نزو وملح . والسباخ الأرض التي تعلوهـــا الملوحة ، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر[9] .

---

١ تاج العروس (١/٥٨٨) ، (نبت) .

٢ كما في هذه الجملة : « وسقح كل اسررس وجروبس » ، أي « وزرع كل الاوديه والجروب » ، Mordtmann und O. Mittwoch, Alt sud. Inchr., S. 9.

٣ وذلك كما في هذه الجملة : « صير وبقر وجرب وبقل وسقح كل اسررم وجربم » ، ومعناها « صير وحرث وعمل المدارج وزرع البقول ومهد كل الاودية والجرب » ، REP. EPIGR 3856, Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 35.

٤ تاج العروس (٣/٦٣) ، (بهر) .

٥ تاج العروس (٢/٢٦١) ، (سخ) .

٦ تاج العروس (١٠/٩٦) ، (حلو) .

٧ تاج العروس (١/٦٣٣) ، (عث) .

٨ تاج العروس (٤/١١٨) ، (جدس) .

٩ تاج العروس (٢/٢٦١) ، (سبخ) .

والبلوقة ، المفازة ، وهي الأرض المستوية اللينة،أو التي لا تنبت إلا (الرخامي) على رأي آخر،والثيران تولع به وتحفر أصوله فتأكل عروقه . وهي من الأرضين التي ليس بها شجر ولا تنبت شيئاً البتة على بعض الآراء . وقد يكون قفرهـا هذا ، وعدم انباتها سبب قول الأعراب أنها مساكن الجـن . ويظهر من أقوال بعض علماء اللغة أن البلوقة أرض واسعة مخصبة ، أي على عكس ما ذكره بعض آخر ، من أنها الأرض التي لا تنبت شيئاً[1] .

ويعبر عن الأرضين الزراعية بلفظة (ارض) (أرض) في جميع اللهجات العربية الجنوبية . وهي من أصل يرد بهذا المعنى في جميع اللهجات السامية . وهي تشير في الغالب الى الأرضين المعدّة لزراعة الخضر والحبوب ، وقد يراد بهـا الأرضين المزروعة بالخضر والحبوب . ولذلك فلفظة (أرض) ، قـد تعني أرضاً صالحة للزرع ، غير أنها غير مزروعة ، وقد تعني أرضاً مزروعـة ، ويرادف هذا المعنى معنى لفظة (المزرعة) .

والقراح : الأرض لا مـاء بها ولا شجر ، وقيـل الأرض المخلصة للزرع والغرس ، وقيل : القراح المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر[2] .

و (الجربة)[3] ، المزرعة . ومنه سميت الجربة المزرعة المعروفة بوادي زبيد . والجربة : القراح من الأرض المصلحة لزرع أو غرس ، واستعارها (امرؤ القيس) للنخل ، فقال :

كجربة نخل أو كجربة يثرب[4]

والركيب : المزرعة والقراح الذي يزرع فيه ، والمشارة ، أو الجـدول بين الدبرتين ، أو ما بين الحائطين من النخل والكرم،وقيل ما بين النهرين من الكرم . قال تأبط شراً :

فيوماً على أهل المواشي وتارة لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل

وأهل الركيب ، هم الحُضّار[5] .

---

١ تاج العروس (٦/٢٩٩) ، (بلق) .
٢ تاج العروس (٢/٢٠٥) ، (قرح) ، المخصص (١٠/١٤٨) .
٣ بالكسر .
٤ تاج العروس (١/١٧٩) ، (جرب) .
٥ تاج العروس (١/٢٧٨) ، (ركب) .

فالركيب اذن أرض زراعة ، تكون محددة ، معينة المعالم ، يمتلكها مالك أو ملاك ، تزرع أشجاراً مثمرة في الغالب ، لا حبوباً .

والحقل ، قراح طيب يزرع فيه ، وقيل هو الموضع الجادس أي البكر الذي لم يزرع فيه قط . يقال أحقلت الأرض ، صارت ذات حقل . والمحاقل المزارع[1].

والمبقلة : الأرض التي يزرع البقل فيها . وأما المبطخة ، وتجمع على مباطخ، فالأرض التي يزرع فيها البطيخ . والمرج : الأرض الواسعة ذات كلأ وماء ، تمرج فيها الدواب حيث شاءت[2] .

والسبخة أرض ذات نز وملح ، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض النبات . ولهذا لا يزرعها الفلاح ، وتترك لعدم صلاحها للزرع ، ولصعوبة استصلاحها بغسلها من الأملاح[3] . وفي جزيرة العرب سباخ رخوة قد تغوص فيها الأقدام ، لذلك ابتعد عنها المسافرون .

ويعبر في المسند عن الأرض المزروعة نخيلاً بلفظة (انخل) ، أي (نخيل) . ويراد بذلك الأرض المغروسة نخلاً . ويعبر عن الأرض المزروعة أشجاراً بلفظة (اثمر) ، أي أشجاراً مثمرة ، وعن الأرض المخصصة بزراعة الحبوب بكلمة (مذرا) (مذرى)[4] . وعن الارض التي تزرع أعناباً بـ (اعنب) ، أي بساتين الكروم .

وفسر بعض الباحثين في العربيات الجنوبية لفظة (موفرن) (موفر)، الواردة في نصوص المسند ، بمعنى الأرض الصالحة للزراعة بصورة عامة ، كما فسرها بعضهم بمعنى المزرعة والحديقة[5] . وهي في مقابل لفظة (الوفراء) في عربيتنا ، والوفراء الأرض التي لم ينقص من نبتها شيء ، والأرض التي في نباتها فرة ، أي كثرة . يقال أرض وفراء ، وهذه أرض نباتها فر ، وفرة[6] .

---

١ تاج العروس (٧/٢٨١) ، (حقل) ، القاموس (٢/٣٥٨) ، جامع الاصول (١١/٤٧٨) .

٢ عمدة القارىء (١١/٢١٤ وما بعدها) .

٣ تاج العروس ٢(/٢٦١) ، (سبخ) .

٤ REP. EPIGR., Tome, V, p. 196.

٥ Rhodokanakis, Stud. Lexi., I, S. 58.
نقوش خربة معين (ص ٢٥) ، النقش رقم ١٧ .

٦ تاج العروس (٣/٦٠٥) ، (وفر) .

وقد حوّل بعض أصحاب الأرض والمزارعين الأرضين الزراعية الى بساتين وحدائق ، غرست بالنخيل والشجر الملتف درّت عليهم أرباحاً حسنة ، من بيع ثمارها . واكتسبت بعضها شهرة ، بسبب وقوع أحداث فيها ، مثل : (الحديقة) من أعراض المدينة ، كانت بها رقعة بين الأوس والخزرج[1] ، ومثل (حديقة الرحمان) ، بستان كان لمسيلمة بفناء اليمامة ، فلما قتل عندها سميت : (حديقة الموت)[2] .

والحديقة ، الروضة ذات الشجر ، والبستان عليه الحائط ، وخص بعضهم من النخل والشجر الملتف ، وخص بعضهم الشجر بالمثمر ، وقال بعضهم بل هي الجنة من نخل وعنب ، والقطعة من النخل[3] . و (المخرف) مثل (الخروفة) النخلة أو النخيل دون البستان[4] . و (المخرفة) سكة النخل والبستان من النخل[5] .

وقد وردت الجنة مفردة ومجموعة ومنكّرة ومُعرّفة في القرآن الكريم . وتقابل (كن) « Gan » و (كنّه) « Gannah » = « Gehenne » في العبرانية ؛ وهي في معنى (فردوس) الفارسية الأصل ، و « Paradise » في الانكليزية[6] . ويراد بها موضع للأشجار الجميلة التي تسرّ الناظرين والأشجار المثمرة والورد والزهر والمياه . والحديقة ذات النخيل والشجر ، أو ذات النخل والعنب . وهي البستان عند بعض اللغويين[7] . وأما (الجنينة) ، فتصغير جنة .

و (البستان) من الألفاظ المعربة . ذكر علماء اللغة أنها (معرب بوستان . فبو بمعنى الرائحة ؛ وستان – بالكسر – الجاذب) بالفارسية[8] .و (الروضة) و (الريضة) ، مستنقع الماء من قاع فيه جراثيم ورواب سهلة صغار في سرار الأرض . وقيل الأرض ذات الخضرة ، وقيل البستان الحسن ، وقيل الروضة عشب وماء ، ولا تكون روضة إلا بماء معها أو الى جنبها ، وقيل أرض ذات مياه وأشجار وأزهار

---

١ تاج العروس (٦/٣٠٩) ، (حدق) .
٢ تاج العروس (٦/٣١٠) ، (حدق) .
٣ تاج العروس (٦/٣٠٩) ، (حدق) .
٤ الروض الانف (٢/٢٩١) .
٥ تاج العروس (٦/٨١) ، (خرف) .
٦ Ency., I, p. 1014, Hastings, p. 282, 681.
٧ القاموس (٤/٢١١) ، تاج العروس (٩/١٦٦) ، (جنن) .
٨ تاج العروس (٩/١٤٠) ، (البستان) .

طيبة . وإن كانت الرياض في أعالي البراق والقفاف ، فهي السلقان ، واحدها سلق ، وان كانت في الوطآت فهي رياض . ورب روضة فيهـا حرجات من السدر البري ، وربمـا كانت الروضة ميلاً في ميل ، فإذا عرضت جداً فهي قيعان . ورياض (الصُمان) والحزن بالبادية أماكن مطمئنة مستوية يستريض فيها ماء السماء ، فأنبتت ضروباً من العشب ولا يسرع اليها الهيج والذبول[1] .

ويقال للبستان إذا كان محاطـاً بجدار (الحائط) ، وتجمع على حوائط . وقد وردت هذه اللفظة في كتب الحديث[2] . وهناك لفظة أخرى تؤدي هذا المعنى هي (الحظار) . ويراد بها الأرض التي فيها الزرع المحاط عليها . وقد ذكرت في كتب الحديث[3] . وذكر علماء اللغة أن من معاني (الحظار) ، الحائط وكل ما حال بينك وبين شيء ، وما يعمل للابل من شجر ليقيها البرد والريح . والجدار من الشجر يوضع بعضه عـلى بعض ليكون ذرى للمال يرد عنـه برد الشمال في الشتاء[4] .

ويعبر في المسند عن الحقول والبساتين وكل المزارع التي تكون داخل حدود القرى و (الهكر) (الهجر) أي المدن ، أو في ضواحيها وأطرافها ، بلفظة (اقنى) ، التي تعني الممتلكات ، أي المزارع المملوكة المغروسة بالشجر . أما لفظة (أرض) ، فتطلق بمعنى المزارع والأرضين المزروعة خارج حدود القرى والمدن ، وتزرع عادة بالمزروعات الواطئة ، أي : (الخضر)[5] .

وتحدد الأرضين بحدود تعين معالمها وتثبتها . ويقال للحدود (وثن) أي حد ، ويجمع على (اوثن) . وهناك لفظة أخرى تطلق على الحد هي (زنن) . وتعني الخط الفاصل الذي يعين الحدود[6] . وتجمع اللفظة على (ازنن) .

والدِّبر مشارات المزرعة ، أي مجاري مائها . وقيل : الدبار الكـردة من

---

١ تاج العروس (٥/٣٨) ، (روّض) .

٢ القاموس (٢/٣٥٥) ، (حوط) ، جامع الاصول (١١/٤٧٧) ، تاج العـروس (٥/١٢٣) .

٣ جامع الاصول (١١/٢٢٩) .

٤ تاج العروس (٣/١٥٠) ، (حظر) .

٥ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 8.

٦ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 69, 72, Glaser 1061, Hofmus. 12.

المزرعة ، والدبار : الأنهار الصغار التي تنفجر في أرض الزرع[1] . و (الكردة) ، الدبرة من المزارع ، وهي المشارات أي سواقيها . وهي من الألفاظ المعربة عن الفارسية[2] . و (المَشارة)[3] ، الكردة ، وهي من الألفاظ المعربة[4] .

ويعرف حافظ الكرم والنخل والزرع بـ (الناطر) و (الناطور) . ذكر علماء اللغة ان اللفظة من كلام أهل السواد ، ليست بعربية محضة ، ومنهم من جعلها من الألفاظ الأعجمية[5] . و (النُطّار) الخيال المنصوب بين الزرع[6] .

وقد استغل أهل اليمن الجبال والمناطق المرتفعة ، فزرعوها بمختلف المزروعات التي تلائم طبيعتها ، ففي المحلات التي يكون الجو فيها بارداً في الشتاء ولطيفاً في الربيع والصيف غرست الأشجار التي تلائم ذلك ، وزرعت في المناطق الوسط المعتدلة النباتات التي تحب اعتدال الجو . أما في التهائم والمناطق المنخفضة الحارة ، فقد زرعت النباتات التي تحب هذا الجو . وبذلك تنوعت المزروعات . وتكاثرت ألوانها ، وصار في الامكان الحصول في موسم الشتاء على المزروعات التي تزرع في الصيف ببعض البلاد الباردة ، والحصول في موسم الصيف على المزروعات التي تزرع في الشتاء .

ولتحقيق غرس الجبال والمناطق المرتفعة ، لا بد من تمهيدها للزرع . وذلك بجعلها مدرّجات عريضة ، تسند جوانبها الظاهرة بالصخور والحجارة منعاً من انهيار تربتها والمزروع فيها ، ويقال لهذه المدرجات في المسند (جروب) (جرب) جمع (جربت) (جربة) . وتحمى الجربة بحائط من الحجارة . وهي تعني الحجارة المقطوعة ، على سبيل المجاز المرسل من باب تسمية الكل باسم الجزء علاقة[7] .

وأهل اليمن لا يزالون يتبعون هذه الطريقة ، وفي كثير من المناطق الجبلية والهضاب المهملة الآن آثار تلك المدرجات . تتحدث عن زرع يانع في الأيام

---

١ تاج العروس (٣/١٩٧) ، (دبر) .
٢ تاج العروس (٢/٤٨٥) ، (كرد) .
٣ بالفتح .
٤ تاج العروس (٣/٥٤٢) ، (هشر) .
٥ تاج العروس (٣/٥٧٢) ، (نطر) .
٦ تاج العروس (٣/٥٧٣) ، (نطر) .
٧ Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S. 43, 124, Kat. Texte, II, S. 32.

القديمة ، وهي تناجي أهل البلاد لعلّهم ينتبهون اليها فيعيدون اليها الحياة . وقد كانت زراعة الكروم ولا تزال من أهم المزروعات التي تعتمد على هذه الطريقة . وهي تتحمل جواً بارداً بعض البرودة ومعتدلاً ، ولهذا تجود بالثمر الكثير الطيب في هذه المدرّجات .

وقد أشار (بطلميوس) ، الى اتخـــاذ أهل النجود والجبال في بلاد العرب المدرجات لزرعها وتشجيرها.وأطلق على الجبال المكونة للقسم الجنوبي من (السراة) اسم « Climax Mons » ومعناه الجبال المدرجة ، فترى وكأنها ذات سلالم . وهذه الطريقة شائعـــة في اليمن حتى اليوم ، ولا سيما في جبل حضور نبي شعيب وفي الأقسام الغربية من السراة . فجبـــال (القليمس) « Climax Mons » التي يشير اليها (بطلميوس) ، إذن هي القسم الجنوبي من السراة الممتد في اليمن وعسير[1].

وزرع أهل (السراة) على هذه الطريقة أيضاً ، وكذلك أهل الجبال والمرتفعات ، ففي استطاعة المزارع في المواضع المرتفعة الاستفادة من ماء المطر وبالتحكم فيه ، وبحصره في (الركيب) أي المشارة المزروعـة ، أعني المزرعة التي يزرع بها ، والتي قد تكون ما بين ساقيتين أو الجدول بين الدبرتين ، أو المزرعة بصورة عامة. كما جاء في قول تأبط شراً :

فيوماً على أهل المواشي وتارة لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل[2]

لقد تبين من نتائج الفحص العام الذي قام بـــه الباحثون لمواضع من العربية الجنوبية ، ان الزراعة كانت متقدمة تقدماً كبيراً في اليمن بالنسبة الى بقيـة أنحاء جزيرة العرب ، وأن العربي الجنوبي حرص حرصاً شديداً عـــلى الاستفادة من الأمطار في إرواء أرضه ، كما يتبين ذلك من آثار السدود التي تلاحظ في كـــل واد تقريباً . وهي سدود أقيمت لا لكي تتحكم في سير (السيول) وفي ضبطها خشية إغراق المـــدن والقرى والزرع فقط ، بـــل لكي يمكن خزنها في أحواض وتوجيهها الوجهة التي يريدونها في أوقات الحاجة اليها ، وذلك بواسطـــة أبواب

---

١ Glaser, Skizze, II, S. 215, D.G. Hogarth, The Penetration of Arabia, p. 20, Forster, II, p. 270. f.

٢ تاج العروس (٢٧٨/١) ، (ركب) .

تفتح وتغلق حسب الحاجة ، وقنوات ومجاري للماء توصل إلى مواضع الزرع والحاجة إلى الماء .

وقد درس بعض الباحثين ومنهم (بوون) « R. Le Baron Bowen » حالة الإرواء والزراعة في العربية الجنوبية دراسة علمية قيّمة وقدّم لنا معلومات ثمينة عن هذا الموضوع ، جعلتنا نأخذ فكرة عن أسلوب الزراعة والري عند العرب الجنوبيين منذ الألف الثانية قبل الميلاد إلى ما بعد الميلاد[1] . ودرس غيره من الباحثين بعض أساليب الزراعة واستغلال الأرض عند العرب الجنوبيين ، ولا سيما القتبانيين وعند غيرهم أيضاً ، وفي تقارير خبراء الزراعة والنفط والمعادن الذين سبروا أرض جزيرة العرب في مواضع مختلفة منها ، بعض المعلومات المفيدة عن الزراعة وعن أمور الري عند الجاهليين .

والأودية هي من أهم مناطق الزراعة في اليمن وفي العربية الجنوبية وفي بقية أنحاء جزيرة العرب ، ففيها الخصب والنماء والماء . ويقال للوادي (سرن) (السر) و (سرم) (سرّ) ، والجمع (أسرار) ، في العربيات الجنوبية . (والسر) في قول علماء اللغة بطن الوادي وأطيبه ، وأفضل موضع فيه ، وأخصب الوادي، والذي كتم نداه ولم ييبس[2] . ويقال له (نخل) في اللهجة الصفوية . وقد وردت في الكتابات الصفوية أسماء جملة أودية ، زرعوا بها[3] .

ونجد أطراف الأودية وجروفها وقد ظهرت المستوطنات بها ، كما ظهرت عند مصبّاتها ، وذلك لاستفادتها من السيول التي قد تهطل فتملأ بطونها . وهي تشبه المستوطنات التي تظهر على شواطىء الأنهار ، حيث تستفيد من المياه الجارية في النهر . وهي مستوطنات زراعية ، جلّ زراعتها النخيل ثم الحبوب وبعض الأشجار المثمرة والخضر والبقول .

وقد عثر على كتابات عديدة بالمسند وباللهجات العربية الأخرى ، تتحدث عن حفر آبار وعن زرع وعن تملك لهذه الآبار ، وأسماء تلك الأودية والمواضع التي

---

١ The Bible and the Ancient Near East, p. 317, 321, 325, R. Le Baron Bowen, Irrigation in Ancient qataban, Archaeological Discoveries in South Arabia, p. 43.

٢ تاج العروس (٣/٢٦٣) ، (سر) .

٣ CIS 269, Pars quinta, p. 44, Dunand 1330 a.

حفرت بها تلك الآبار . وهي وثائق تملك ، تبين حق صاحبها في تلك البئر .

ونجد في كتاب صفة جزيرة العرب وصف مواضع كانت غنية بالأغيال والمآجل والعيون ، وقد نبتت حولها الأشجار المثمرة والزروع ، وأنواع الخضر والبقول والأزهار ، مما يشير الى ما للماء من أهمية في احياء هذه الأرضين وفي استنباتها ، فلولا الأمطار الموسمية التي غذت اليمن بالماء الذي أولد الحياة في الأرض، لكانت اليمن قفراء مثل أكثر أرجاء جزيرة العرب ، ليس فيها نبت ولا زرع ، يكره أهلها الزراعة ويستهجنونها ، ويرون في الاشتغال بها خسة ودنية . وقد أقبل أهل هذه الأرضين التي توفرت بها مصادر الماء ، على استغلالها استغلالاً طيباً ، يدل على أن العرب لو تهيأ لهم الماء لما كرهوا الزراعة وازدروا شأن المزارعين .

واليمامة من الأرضين الخصبة في جزيرة العرب ، قال عنها أهل الأخبار : «وكانت أحسن بلاد الله أرضاً،وأكثرها خيراً وشجراً ونخيلاً من سائر الحجاز»[1]. وقد نعتت بـ (ريف مكة) ، إذ كانت تمون مكة بالحبوب ، ولولاها لما تمكنت مكة من العيش برخاء . فلما أسلم (ثمامة بن أثال بن النعمان) الحنفي سيد أهل اليمامة ، أراد العمرة ، فلما سمع به المشركون جاءوه ، فقالوا : يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك ! قال : لا أدري ما تقولون إلا اني أقسمت برب هذه البنيّة لا يصل اليكم من اليمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمداً من آخركم .. وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ، ثم خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من ميرتهم ومنافعهم ، فلما أضرّ بهم كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها ، وإن ثمامة قد قطع عنا ميرتنا وأضرّ بنا ، فان رأيت أن تكتب اليه أن يخلّي بيننا وبين ميرتنا فافعل . فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان خلّ بين قومي وبين ميرتهم »[2] . وبذلك استراحوا وعادت أقواتهم اليهم .

ويجب ان نحمل ما جاء في الشعر من (جوع قديم) لبني حنيفة ، وهم من أهل اليمامة ، محمل الأقوال التي يقولها الشعراء عند استهزائهم بخصومهم ، أو عند

---

١ تاج العروس (٩/١١٥) ، (يمم) .

٢ الاستيعاب (١/٢٠٦ وما بعدها) ، الاصابة (١/٢٠٤) ، (رقم ٩٦١) ، صحيح البخاري (كتاب الصلاة، باب الاغتسال اذا أسلم وربط الاسير في المسجد)، صحيح مسلم (كتاب الجهاد) ، زاد المسلم (٢/٢٧٨ وما بعدها) .

حنقهم على قوم لم ينالوا منهم خيراً ، أو محمل العصبيات القبلية . ورد في الشعر قول أحد الشعراء :

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعه
لم يحذروا من ربها سوء العواقب واتباعه

وروي بهذه الصورة :

أكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن اعواز[1]

وقد ذكروا ان (بني حنيفة) كانوا قد اتخذوا إلهـاً من حيس ، فأصابتهم سنة ، فعمدوا اليه فأكلوه فعيرهم الشاعر به . والحيس في تفسير علماء اللغـة : تمر يخلط بالسمن وأقط فيعجن ، أو هو التمـر البرني والأقط يدقان ويعجنان بالسمن عجناً شديداً ثم يندر منه نواه ، ثم يسوى كالثريد ، وهي الوطبة ، وربما جعل فيه سويق أو فتيت عوض الأقط[2] .

وذكر أن اسم اليمامة القديم هو (الجوف) ، وأن الجوف المطمئن من الأرض وهو أوسع من الشعب تسيل فيـه التلاع والأودية وله جرفة[3] . فالجوف أرض خصبة ذات مياه قد تسيل وقد تكون قريبة من سطح الارض . ولما كانت اليمامة على هذه الصفة ، لا يستبعد أن تكون قد سميت بهذه التسمية .

وباليمامة أودية خصبة ، صارت من أهم مواضع الخصب فيها ، لوجود الماء فيها على مقربة من سطح الارض ولوجود العيون العذبة بها . من هذه الاودية : (العرض) . والعرض الوادي يكون فيه قرى ومياه ، أو كل وادٍ فيه نخل ، وقال بعضهم : كل وادٍ فيـه شجر[4] . ومن أعراض اليمامة ، عرض شمام ، وعرض حجر . فالاول يصب في (برك) وتلتقي سيولها بـ (جو) في أسفل (الخضرمة) ، فإذا التقيا سمّيـا (محققاً) ، وهو قاع يقطع الرمـل . قال الاعشى :

---

١ الاعلاق النفيسة (٢١٧) .
٢ تاج العروس (٤/١٣٥) ، (حاس) .
٣ تاج العروس (٦/٦٢) ، (جوف) .
٤ تاج العروس (٥/٤٥) ، (عرض) .

ألم ترَ أن العرض أصبح بطنه نخيـــلاً وزرعاً نابتاً وفصافصا

وقال المتلمس وبه لقب :

وذاك أوان العرض جنّ ذبابـه زنابـــيره والازرق المتلمـس[1]

وفي الشعر المتقدم دلالة على خصب (العرض) ، وكثرة زرعه ونخله ، وعلى اشتغال أهله بالزراعة .

وفي اليمامة مرتفع يقال له (عارض اليمامة) . والعارض الجبل وقد جاء ذكره في الحديث[2] . وإلى ذلك أشار (عمرو بن كلثوم) بقوله :

وأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا[3]

ومن أودية اليمامة (العقيق) ، وهو واد واسع مما يلي (العرمة) تتدفق فيه شعاب العارض وفيه عيون عذبة الماء[4] . وبه معدن .

ومن مواضع اليمامة الخصيبة (قُرّان) ، موضع به ماء ونخيل ، وهـــو لبني سحيم من بني حنيفة ، ويذكر مع (ملهم)[5] . و (ملهم) موضع كثير النخل، به ماء . ويوم (ملهم) حرب نسبت لهذا المكان بين تميم وحنيفة[6] .

وكانت في الحجاز ، ولا سيما ما وقع منه شمال المدينة ، عند ظهور الاسلام، مواضع كثيرة ذات عيون ومياه جارية ، غرست بالنخيل،واشتغل أهلها بالزراعة. وقد كان وادي القرى كثير المياه بصورة خاصة،بالنسبة إلى باطن جزيرة العرب، وعلى مواضع المياه أقيمت مستوطنات وقرى عديدة ، عاشت على النخيل والزرع وعلى القوافل التي تسلك هذا الوادي تحمل التجارات . وقد وردت أسماء مواضع عامرة آهلة بالسكان في غزوات النبي ، تقع كلها في شمال (يثرب) الى فلسطين، وبين مكة ويثرب بعض مواضع مياه ، عاش سكانها على النخيل والقوافل والرعي

---

١ تاج العروس (٥/٤٦) ، (عرض) .
٢ تاج العروس (٥/٤٣) ، (عرض) .
٣ تاج العروس (٥/٤٩) ، (عرض) .
٤ تاج العروس (٧/١٥) ، (عق) .
٥ تاج العروس (٣/٤٨٨) ، (قرر) ، (٩/٣٠٩) ، (قرن) .
٦ تاج العروس (٩/٦٨) ، (لهم) .

وبعض الزرع . وكذلك وجدت بعض مواضع مياه (مكة) والعربية الجنوبية . ومن الأماكن الخصبة (وادي الغرس) ، قرب (فدك) بينها وبين (معدن النقرة) ، وكانت فيه منازل بني النضير[1] .

ومن المواضع التي استغلت في الزراعة الجرف . وهو موضع قرب المدينة على ثلاثة أميال منها ، بها كانت أموال (عمر) . ومنه حديث (أبي بكر) انه مرّ يستعرض الناس بالجرف فجعل ينسب القبائل حتى مر ببني فزارة[2] . وكان (عبد الرحمن بن عوف) يزرع به على عشرين ناضحاً ، فكان يدخل منه قوت أهله سنة[3] . أي انه كان يسقي زرعه نضحاً ، والناضح البعير أو الحمار أو الثور الذي يستقي عليه الماء ، والنضيح من الحياض ما قرب من البئر حتى يكون الافراغ فيه من الدلو ، ويكون عظيماً ، وهي ناضحة وسانية[4] .

وأرض يثرب وما تبعها من أطراف ، هي من الأرضين الخصبة ، وقد حفر أصحابها آباراً بها ، وسقوها منها ، وغرسوا عليها النخيل وزرعوا بها ؛ واتخذوا لهم بها (الحوائط) و (البساتين) . ويظهر أن بعضها كانت واسعة تسقى بآبار غنية بالماء ، لها جملة نواضح . وهي تظهر أن أهل المدينة كانوا مزارعين، وأن مزارعهم كانت تأتي عليهم بمال طيب ، جعل بعضهم من الأثرياء . وقد استفيد من شراج الحرة في سقي المزارع ، وكانت تستمد ماءها من الحرة . وقد كانت للزبير بن العوّام مزرعة على هذه الشراج ، كما كان لأنصاري مزرعة عليها كذلك ، وقد ورد ذكرهما في كتب الحديث بسبب اختلافهما على السقي[5] .

وتنافي هذه الأخبار المتحدثة عن اشتغال الأنصار بالزراعة ، الأخبار الأخرى التي يرويها أهل الأخبار أيضاً ، الذاكرة أن الأنصار ، أهل المدينة لم يكن لهم علم بالزراعة ولم يكونوا يقبلون عليها ، إقبال يهود خيبر وفدك ووادي القرى على الفلاحة . ويظهر أن رواياتهم هذه إنما نشأت من الوضع السيء الذي كان فيما بين الأوس والخزرج ومن تقاتلهم بعضهم مع بعض ، على الرئاسة والزعامة، وبسبب العصبية القبلية الضيقة ، فأثر كل ذلك على الزراعة في يثرب وفيما حولها

---

١ تاج العروس (٤/٢٠١) ، (غرس) .
٢ تاج العروس (٦/٥٦) ، (جرف) .
٣ الاستيعاب (٢/٣٨٨) ، (حاشية على الاصابة) .
٤ تاج العروس (٢/٢٤٠) ، (نضح) .
٥ ارشاد الساري (٤/١٩٧ وما بعدها) ، تاج العروس (٢/٦٣) ، (شرج) .

فجعلها متأخرة لاعتداء كل جانب منهما على زرع خصمه،وقد ألهاهم عن الزرع .

وبالمدينة وأطرافها مواضع عرف الواحد منها بـ (البقيع) . والبقيع الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، والمكان المتسع ولا يسمى بقيعاً إلا وفيه الشجر ، ومنه (بقيع الغرقد) ، وقد ورد في الحديث ، وهو مقبرة مشهورة بالمدينة . سمي بالغرقد ، بشجر له شوك فذهب وبقي الاسم لازماً للموضع، وبقيع الخيل ،وبقيع الخبجبة، وبقيع الزبير ،وبقيع الخضمات،موضع عند خرم بني النبيت[1] .

وبيثرب ثلاثة أودية مهمة هي : العقيق ، وبطحان ، وقناة[2] . وفي وادي العقيق عيون ونخيل ، وقد ذكر في الحديث[3] . والأودية المذكورة من المواضع الخصبة المنبتة في هذه المنطقة ، ومياهها قريبة من سطح الأرض ، ومن الممكن العثور عليها بسهولة بحفر الآبار بها .

ومن الأودية التي استفيد منها في الزراعة (وادي مهزور) ، وقد ذكر في الحديث . ذكر انه وادي بني قريظة ، وان الرسول قضى في سيله ان يحبس حتى يبلغ الماء كعبين . وذكر بعضهم انه يذكر مع (مذينيب) يسيلان بماء المطر خاصة ، وهو من أودية المدينة . ومن مهزور الى مذينيب شعبة تصب فيها[4] .

وقد كان من الممكن استصلاح الأرض المحيطة بيثرب ، بحفر الآبار بها ، فالماء فيها غير بعيد عن سطح الأرض ، وهو عذب أو مج لكنه يصلح للشرب ولسقي الزرع . ولما نعمت يثرب بالهدوء في عهد الرسول ، أقبل بعض المهاجرين على الزراعة فيها ، فحفروا الآبار وزرعوا عليها ، وحوّطوها ، وجنوا منها ثمراً طيباً ، ولولا الفتوحات الاسلامية التي اجتلبت اليها المهاجرين والأنصار على السواء، للخيرات الكثيرة التي كانت في الأرضين المفتوحة ، لتحولت يثرب الى بساتين ومزارع منتجة ، تمون الأماكن البعيدة عنها بالتمور وبالفواكه والخضر .

وقد زرع أصحاب الأرض بيثرب أرضهم بقولاً وحبوباً ، ومنهم من زرع تحت النخيل ، ورد أن مولى من موالي (عثمان بن مظعون) كانت في يده أرض

---

١ تاج العروس (٥/٢٨٠) ، (بقع) .
٢ تاج العروس (٢/١٢٥) ، (بطح) .
٣ تاج العروس (٧/١٥) ، (عق) .
٤ تاج العروس (٣/٦٢٠) ، (هزر) .

لآل مظعون بالحرة ، فكان يزرعها قثاءً وبقلاً[1] . ولما صارت أرض (بني النضير) خالصة لرسول الله ، كان يزرع تحت النخل في أرضهم فيدخل من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة ، وما فضل جعله في الكراع والسلاح[2] . وقد كان بنو النضير قد استغلوا أرضهم ، وأقاموا بها (الحوائط) ، ولما أسلم (مخيريق) ، وهو أحدهم ، جعل للرسول ما له وهو سبعة حوائط ، فجعلها الرسول صدقة[3] .

وذكر في بعض الروايات أن (أحيحة بن الجلاّح) ، وكان من أصحاب الأملاك بيثرب ، كانت له بساتين وأرضين يزرعها ويسقيها بالسواني فلا يعبأ بتأخر المطر وانقطاعه . ونسب بعض أهل الأخبار له هذه الأبيات :

إذا جمادي منعت قطرها ... إن جناني عطن معصف
معرورف أسبل جباره ... أسود كالغابة مغدودف
يزخر في أقطاره مغدق ... يحافتيه الشوع والغريف[4]

ويظهر من وجود المصطلحات الآرامية والفارسية والنبطية في لغة زراع يثرب ، أنهم استعانوا في الجاهلية بالرقيق المستورد من العراق ومن بلاد الشأم في زراعة الأرض وفي انباتها ، حتى أنهم أخذوا مسمّياتها منهم ، مثل (الخربز) الذي هو البطيخ في لغة أهل مكة ، كانوا يسمونه (الخربز) ، و (الخربز) لفظة عربية معربة ، من أصل فارسي ، وقد وردت في الحديث[5] .

ونجد في مواضع من بقية جزيرة العرب مياهاً صارت مواطن لسكن ، اختلفت كثافة سكانها باختلاف مقدار الماء. وهي رحمة وغوث بالنسبة للرحل ولأهل القوافل ولذلك صارت ملاذاً استليذ به في هذه البوادي البعيدة الأبعاد الجافة القاسية ، وقد اضطرت القوافل إلى الاتجاه نحوها للوصول الى أهدافها ، لذلك صارت عقداً ، تجتمع في بعض منها جملة طرق برية ، إذ كانت ذات مياه غزيرة وعلى مفترق طرق ، تختصر الأبعاد والمسافات ، وفي هذه الأماكن ، ظهرت زراعة النخيل ، وهي زراعة تقنع بالقليل من الماء ، لامتصاصها الرطوبة من باطن الارض،وبعض

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٢) .
٢ البلاذري ، فتوح (٣١) .
٣ البلاذري ، فتوح (٣١) .
٤ تاج العروس (٥/٤٠٤) ، (شوع) .
٥ تاج العروس (٤/٣٣) ، (الخربز) .

النباتات الاخرى ، التي لا تحتاج الى سقي كثير ، وظهرت البيوت المعدة لاستقبال التجار والمسافرين وأصحاب القوافل .

وفي العربية الشرقية مواضع قرب فيها الماء العذب من وجه الأرض ، أو ظهر على وجهها وفار على شكل عيون ، وفي هذه المواضع صار سكن وزرع تناسبت كثافته مع كثافة الماء ومدى وصوله ، حيث توقف عند ذلك المكان الذي انتهى اليه . فالماء هو الذي يحدد الزرع ويعين نوعه ، وهو الذي يقرر السكن ويثبت حده . ومن هذه المواضع التي وجد فيها سكن وزع (هجر) ، وقد اشتهرت بنخيلها ، فقصدها الأعراب لامتيار التمر منها ، حتى ضرب بها المثل في كثرة التمر ، فقيل : كمبضع تمر الى هجر . ويظهر ان مياهها كانت راكدة متجمعة ، فتسببت في ظهور الأوبئة فيها . قال (عمر) « عجبت لتاجر هجر ، وراكب البحر . وانما خصها لكثرة وبائها ، أي تاجرها وراكب البحر سواء في الخطر »[1].

والأحساء من المواضع المشهورة بالزراعة في العربية الشرقية ، وقد عرفت بزراعة النخيل وبعض الأشجار والخضر ، وهي لا تزال على مكانتها ، فلا تزال عيون مائها تمون الناس بماء شربهم وزرعهم . و (قطر) موضع قديم يعود عهده الى ما قبل الميلاد ، وقد أشير اليه في الكتب اليونانية واللاتينية ، وأسس به المبشرون كنائس ، وقد ساهم أساقفته في المجامع الكنسية التي انعقدت للنظر في أمور الجدل بين المذاهب النصرانية ، كما اشتهرت بثياب جيدة نسبت اليها ، أشير اليها في الحديث ، كما أشرت الى ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

و (كاظمة) اسم قديم معروف ، يرد في الشعر الجاهلي وفي القصص ، جوّ من سيف البحر من البصرة على مرحلتين . وفيه ركايا كثيرة وماؤها شروب . وقد أشير الى قطاها في شعر لامرىء القيس[2] . و (المرائض) في ديار (تميم) بين (كاظمة) و (النقيرة) فيها أحساء[3] .

---

١ تاج العروس ٣(٦١٤/) ، (هجر) .
٢ تاج العروس (٤٧/٩) ، (كظم) .
٣ تاج العروس (٣٩/٥) ، (روض) .